

إليه، بما يجعل الحثيات والفهم أكثر وضوحاً، فالكثير من زوايا الأمس الغامضة والتي تبدو عفوية باتت اليوم جلية.

وبالنظر لندرة الكتابات التي تتعقب العملية التنظيمية، أي سيرورة البنية بما تحمله من أبعاد فكرية وسياسية وممارسة عملية وخط أخلاقي وأمني، بل يكاد لا يوجد في المكتبة الفلسطينية سوى الشذرات التي تتعرض لهذا الجانب، بما لا يغني ولا يسمن من جوع، بينما ثمة فيض من النشريات السياسية التي تتابع التاكتيكات والرؤى الاستراتيجية والفكر السياسي عموماً... أي ثمة فراغ كبير هنا بما يحرم العقل البحثي كما الأجيال الجديدة من مراجع متخصصة عميقة، الأمر الذي يوجب على العقل البحثي، بالتالي، الحرث في هذه الأرض البور، سيما أن هذه الأرض ليست مجرد بقعة صخرية نائية، بل مساحات خصبة لتجربة فلسطينية متشعبة، ليس دون أساس القول أنها كانت على امتداد عقود مركز الصراع في المنطقة وخذقاً متقدماً لحركة التحرر الوطني، بما لها من اسقاطات وتفاعلات دولية.

وما تعترم الرسالة التصدي له ليس سرداً صحفياً لمسيرة عمل دون الوقوف التحليلي لمقاطع ومحطات نوعية، كما ليس تأريخاً رصيناً شاملاً يتطلب دراسات وأقلاماً لكل جزئية، بل مزيج من هذا وذلك، هو أقرب إلى إضاءات موضوعية وقرع ما يمكن من بوابات، باقتضاب على الدوام، بما يكفل إنعاش ذاكرة جمعية منسية وصفحات مسكوت عنها، مستقاة من تجربة غنية والمأم واسع كناظم وموجه للإضاءات، علاوة على نبض قاعدي وكادري وعاطفة ثورية تختلج في صدور من صنعوا المسيرة وتاريخها المستور. بل تتضمن الرسالة اشتباكات نقدية أيضاً. فإن لم يتوشح الباحث والمؤرخ والمثقف عموماً بنظرة نقدية فهو لا يعدو كونه أمعةً وصوتاً تبريرياً لما آلت إليه المسيرة الفلسطينية من كوارث. فروعة النقد - الصدق قادرة أيضاً على نبش الذاكرة الجميلة لسنوات الإنجاز ومجد التراكم ما قبل الأزمة والاختفاق. فالنقد ليس في عداد جهد علمي فقط بل هو سلاح لتبيان الغث من السمين وردم الثغرات - الفجوات وتحليل أسبابها تفادياً لتكرارها. فالرسالة تطمح إلى أن تكون عملاً أكاديمياً وسياسياً في آن، أو بصورة أدق عملاً أكاديمياً يمكن أن يفاد منه سياسياً أيضاً.

ولما يتصف به العمل السري من قوانين خاصة سوف نكتشف أن مهمة هنا أو قراراً هناك، كتغيير في الأشكال التنظيمية في لحظة معينة أو الانخراط بثقل أكثر أو أقل في الميدان في لحظة أخرى، أو سلوك صمودي في الزنازين أو تدبير مبلغ مالي لتلبية حاجات ماسة قد ارتقت إلى مستوى